ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

The Dramatic Transformation Between Seriousness and Humor in Ahmad Matar's Poems

Zana Muhammad Ibrahim/

Saladin University/ College of Education

* *Corresponding author: E-mail* :
zana.ibrahim@su.edu.krd

***Keywords*:**
seriousness,
humor,
Ahmed Matar,
irony,
drama

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	4	Jan	2023
Received in revised form	17	Aug	2023
Accepted	20	Aug	2023
Final Proofreading	10	Sept	2023
Available online	20	Sept	2023

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

The focus of our research is to the genre of dramatic poetry, namely the form known as poetic drama, as shown by the modern Arabic poetry, with particular emphasis on the works of Ahmad Matar. The framework of poetic rhythm was only presented in a novel way. The aforementioned metamorphosis had an impact on several aspects, including poetic consciousness, the configuration of the artistic representation, the language framework, and the creative composition. This alteration occurred during the shift from a purely lyrical format to a lyrical-dramatic format.This study focuses on a significant shift in the Arabic poem, specifically the transformation from a dramatic form to a more democratic one. The importance of this study lies in its examination of Ahmed Matar's poetry, which reflects his personal experiences and the evolving societal context. Additionally, it aims to observe the rapid changes occurring in Arab and Iraqi society. Particularly noteworthy is his critique of these transitions, as well as his use of literary devices, including irony and antagonistic dichotomies, in a captivating manner. By using elements of both seriousness and humour, the author effectively engages the reader.It is essential for each research to establish a robust theoretical framework as its basis, and to adopt a coherent methodology to guide its progression. This study used a psychological framework to examine the influence of stable personality characteristics on an individual's behaviour. These qualities are manifested via consistent emotional and expressive patterns shown by the individual.The present research has an introductory section followed by two main sections. In the introductory section, an exploration was conducted on the notion of seriousness and humour within language, as well as its interconnectedness with societal aspects. Regarding the first axis, I examined the themes of gravity and steadfastness in Ahmad Matar's poetry, as well as his adeptness in transitioning to the realm of humour. Specifically, I explored the use of sarcasm, which conveys a meaning contrary to its outer appearance. The use of sarcasm might manifest itself via the first expression of admiration or in the form of a typical exchange, however it conceals within it a layer of acerbic censure. Ultimately, the conclusions of my investigation were documented by me.

© 2023 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.30.9.1.2023.04

التحول الدرامي بين الجد والهزل في أشعار أحمد مطر

م.م. زانا محمد إبراهيم /جامعة صلاح الدين/كلية التربية

الخلاصة:

يتبادر إلى الذهن لأول وهلة أن علاقة الشعر بالدراما علاقة أضداد، لكن لغة الشعر لغة نادرة تمارس التخييل وتكلم الوجدان كأي لغة إبداعية. لذلك نركز في تحليله لمكونات الشعر الدرامي، ومن ضمن هذه المكونات ندرس في هذا البحث التحول والانتقال من حالة الى حالةٍ أخرى في الشعر.

التحول الدرامي يعد من إحدى أهم نقاط التحول التي يمر عبرها النص خاصةً الشعر، باعتبارها نتيجة للتغير وتكون نقاط التحول في الشعر من خلال وصول الأحداث عن طريق تحريك الفعل الدرامي إلى نقطة محددة.

ولعل وقفة متأنية على أهم التحولات التي مست جوهر القصيدة العربية من التحول الدرامي، وقد جاءت أهمية هذه الدراسة لتعيد قراءة شعر احمد مطر وفق هذه التحولات التي نقلت جوهر تجربته الخاصة من واقعها الميداني الى واقع أكثر ديمقراطي، ورصد التحولات المتسارعة في المجتمع العربي، والعراقي خاصةً وانتقاده لهذه التحولات، وتوظيفه الى الآليات أسلوبية: كالسخرية، والثنائيات الضدية بشكل مشوق وهنا نقصد بالجد والهزل.

ولكل دراسة أساس قوي تعتمد عليه، ومنهج واضح تنطلق منه، وفي هذا البحث استندت الى المنهج النفسي وسمات شخصية مستقرّة يتحلّى بها الإنسان، وهي نتاج تعبير المرء الدائم عن انفعالاته وعواطفه.

تتكون هذه الدراسة من تمهيد ومحورين، ففي التمهيد تحدثت عن مفهوم الجد والهزل في اللغة وما يتعلق بالمجتمع، أما المحور الأول فتناولت الجد في شعر أحمد مطر وعبقريته في التحول الدرامي الى الجانب الهزلي أي يقوم بذكر الجد ويقصد به والهزل، أما المحور الثاني الهزل التهكمي والذي يحمل عكس ما يبدو منها ظاهريا، فقد تكون هذه السخرية مدحاً، أو حديثا عادياً، إلا أنها تقصد وراء ذلك نقدا لاذعًا، وفي النهاية سجلت ما توصلت اليه من النتائج التي تخص البحث.

الكلمات المفتاحية: (الجد، الهزل، احمد مطر، السخرية، الدراما)

التمهيد:

1-مفهوم الجد

الجد هو المُتَعَقِّلُ، ثَابِتٌ فِي رَأْيِهِ، رَصِين، وتدل على الحالة النفسية والبدنية للإنسان عمل/ تكلم بجدي الجد هو الحزم في الأمور، وهو الوقار والرزانة في السلوك. وهو السلوك الرسمي الذي يتطلبه الدور الاجتماعي الذي يكون على نوعين أما ان يكون طبيعياً أو متصنعاً، (لسان العرب،3/108) . فهو ضد الهزل، والتهاون والضعف والرخاوة ولهذا نرى أن الله سبحانه و تعالى ذكره في القرآن الكريم: {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ * إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا} (الطارق 14) ...لتأكيد مدى ولوج الجدية في أوامر القرآن

الكريم. فمن الجانب الديني نرى أن الانسان يجب أن يتمسك بجدّ وقوةٍ بشرائع الدين وأحكامه ، فلابد من التفرقة بين التمسك والالتزام بقوةٍ، والغلوِ والتطرف، فالغلو والتنطع؛ هوالزيادة والابتداع ومخالفة الدين وهو منهيٌ عنه، أما التمسك والالتزام بجميع جوانب الإسلام فمطلوب ومأمورٌ به، وذكر في الحديث عن الرسول ﷺ:[أنه كان إذا جد في السفر جمع] "رواه مسلم: 703 أي: أهتم به، وأسرع فيه، ويقال: جد فلان في أمره، إذا كان ذا حقيقة ومضاء، فمعاني الجد تدور على الاجتهاد في الأمر، والاهتمام به، والإسراع في إنجازه، والجد من الأمور اللازمة لكل إنسان يريد أن يسير سيرًا رابحاً واجتهادًا في الأمر، واهتماماً إضافياً ومبالغة لأجل السعي في تحقيق ذلك، وبذل للجهد والوسع، إنه معاكس للتردد والقعود، والكسل.

والإنسان الجاد مهما وقع تحت الضغوطات، والأزمات النفسية، والمصائب تأتيه دائمًا عند باب العمل فهو نوع من التنظيم والانتظام في السلوك وإدارة الأعمال وعدم ترك الحبل على الغارب. وهو نوع من الانضباط والالتزام في التصرفات والسلوك، والاهتمام بالظواهر وبالشكل الخارجي، وطغيان على الروتين في العمل، بقصد المحافظة على الهيبة والسلطة ومغالبة الأعذار والعراقيل، ومن أكبر المظاهر وأصدقها مغالبة الصعوبات والأعذار، فالإنسان الجاد لا يستسلم أمام المعوقات والعوارض والمشقات، ولا يضعف أمام المطبات، بل يسيطر عليها ويغالبها، ويبحث دائمًا عن مخارج ولا يتوقف إلاّ وأن يحصل على المخرج، ويضاعف الجهد، ويحرص على المشاركة حتى آخر لحظة بأقصى ما يملك. (نراها في الأخذ بالعزائم، والحرص على أداء الواجب والمشاركة فيه مهما كانت الظروف، وعندما يقول الشخص بأنه جاد، فهو إنما يقصد أنه يعني ما يقول، ومصرّ عليه كلّ الإصرار، وأنه لا يمزح أو يلعب، ولا يقول شيئا جزافاً. ويتضمن نوعا من التردّد والتروي الذي يطغى على السلوك قبل البتّ في أمر ما، يفيد الجد في جوانب عديدة مهمّة. إذ يضفي الجدّ نوعا من الروتين (الحياة الرتيبة) الضروري على الحياة. يشير (دي بونو) الى أن الحياة الرتيبة إنما تحافظ على الأمن والطمأنينة. وتحدد الشكل الذي يؤدى فيه سلوك ما مسبقا وتفسح المجال لأداء الأعمال الأخرى بحرية أكبر. تقلّل من التعب في التفكير في الأمور في كل مرة. تفسح المجال لتأدية العمل بكثير من السهولة، ويقتصد في الوقت والجهد، فالجد مطلوب في وقت العمل والإنتاج والعطاء والحضور الاجتماعي) (ينظر53-45 ;De Bono: 1998).

نذكر بعض اخبار العرب من التراث حول جديتهم في الحياة سواءً كانت في طلب العلم أو في حياة طبيعية اجتماعية، منها: قال الإمام مسلم في صحيحه:(قال يحيى بن أبي كثير: لا ينال العلم براحة الجسم، وقد قيل: من طلب الراحة ترك الراحة. وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول: أثقل الساعات علي: ساعة آكل فيها. كان أحدهم ليحزن ويصيبه المرض إذا فاته شيء من العلم، فقد ذكروا لشعبة حديثا لم يسمعه، فجعل يقول: واحزناه! وكان يقول: إني لأذكر الحديث فيفوتني، فأمرض. وهكذا فالجد مرهونٌ بالإنسان في حياته). (ينظر: احمد مطلوب، في المصطلح النقدي، ص 26).

ثانياً: مفهوم الهزل:

الهزل: المَزْحُ واللَّعِبُ، يُقال: هَزَلَ في كلامِهِ، يَهْزِلُ، هَزْلاً: إذا مَزَحَ، فهو هازِلٌ، وهَزَلَ الرَّجُلُ في الأَمْرِ: إذا لم يَجِدَّ فيه، وكلُّ كَلامٍ لا تحصِيلَ له ولا فائِدَةَ فَهو هَزْلٌ، ونَقِيضُه: الجِدُّ (تهذيب اللغة .6/91)

وقد ذكره الزمخشري إذ قال: (أ هازل أنت ام جادّ؟ وهو يهزل في كلامه) (أساس البلاغة، 2/85).

عرف العرب الفكاهة، كما عرفتها الأمم الأخرى، وبخاصة بعد فتحهم العراق وفارس والشام ومصر، حيث تأثروا بما لدى تلك الأمم من حياة اجتماعية وثقافية جديدة، جعلتهم يصيرون إلى شيء من حياة الترف والبذخ، قادتهم إلى الاهتمام بألوان الفكاهة والترويح المختلفة، وقد شغف الخاصة والعامة على حدّ سواء بمجالس القصص والحكايات والهزل والنوادر.

وقد برزت في التراث العربي كثير من الشخصيات الهزلية والفكاهية، واشتهر منها أشعب وأبو دلامة وأبو العِبَر. (وتناول كثير من الأدباء العرب الفكاهة، لما لها من مزايا والخواص، واتخذ الكتابة سواء كانت الشعر أم النثر في هذا الصدد صورتين: فريق من الكتاب عرض للفكاهة في ثنايا كتبه، كما فعل الجاحظ في كتاب الحيوان، وأبو حيان التوحيدي في كتابه الإمتاع والمؤانسة، وأبو الفرج الأصفهاني في كتابه: الأغاني، ولأن الفكاهة تُعتَبَرُ من الأمور المحفوفة بالحرج، لم يكن من اليسير الخوض في أدب الفكاهة) (ينظر: من وجوه الفكاهة في الادب العربي–اياد فرعون–26)، فهو وإن كان موجوداً إلا أنه أقرب إلى الانزواء عن المتناول الثقافي العام، ذلك أن جزءاً من تراث العرب يشجبُ الضحك ويعتبره منافيا للوفاء، رغم أن لكل أمة من الأمم، ولكل طبقة من طبقات المجتمع، مهما بلغت مكانتها، قسطهاً من النوادر والمرح والسخرية.

وهناك فريق آخر من الكُتَّاب، أفردوا الفكاهة بكتب خاصة (منهم: الجاحظ في كتابه: البخلاء وأبو الطيب محمد بن إسحاق الوشاء، في كتابه: الموشى أو الظَّرف والظُّرفاء. وأبو منصور الثعالبي في كتابه: لطائف اللطف. وأبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي في كتابيه: أخبار الحمقى والمُغفلين، وأخبار الظُّراف والمُتماجين، والخطيب البغدادي في كتابه: التطفيل وحكايات الطُّفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم (ينظر: عبد العزيز شرف، الأدب الفكاهي، 1–40)

أما في الادب فهو لون أدبيٌ موجه، يقوم على النقض المضحك أو التجريح الهازئ، معتمداً على أساليب ووسائط فنية مختلفة. (والأساليب والوسائط التي يمكن أن توظف لصنع الوجه الساخر في الكلام كثيرة، منها: الصورة، والمبالغة الفنية، والتصوير الكاريكاتوري، والحوار، والحكاية، والمفردة ونحو ذلك. فالسخرية بهذا قد تكون في الشعر وقد تكون في النثر، وقد تكون لوناً أدبياً مميزاً في أدب أديب أو أمة، وقد

تكون مجرد اتجاه يطبع الأسلوب بطابعه عند هذا الأديب أو ذاك. (ينظر: عبد العزيز شرف، الأدب الفكاهي، 1-40)

.

المحور الأول: - الجد والحزم وتحوله الى الهزل (الجد وينهي به بالهزل) في أشعار أحمد مطر:

وقد يكون من البواعث على الشعر الجد وتحوله الى الهزل والتزامه به في هذا المذهب أن يجد الشاعر نفسه في النخبة، فيسلك هذا المسلك يتميز به من بين اقرانه من شعراء وفي الحقيقة أحمد مطر أبدع في هذا المجال، من الممكن القول إن اكثرية قصائد أحمد مطر إلا بعض منها لا ينتمي إلى الشعر السياسي. كما أنه ينتمي إلى مدرسة البساطة والسهولة واليسر، نجده ينتقي في قصائده الألفاظ السهلة والبسيطة التي لا يجتهد القارئ في فهمها. ونجد أن لونه الشعري ينتمي الي شعر المواقف الواضحة في البيت القصيد، وإن هذه المواقف لا يجد القارئ صعوبة في فهمها، وأن يذكر الشيء على سبيل الحقيقة، ويقصد به أمر اللعب والمبسطة، والاختلاف بينه وبين التهكم، أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل وهذا بعكسه، وهو واقع في كلامه كثيراً (ينظر: كتاب خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي 1/126).

وهكذا كانت رسالة الشاعر أحمد مطر الشعرية تجاه الواقع فهو إنسان حر يطغى الذلة والمهانة التي شرعتها سياسة الحكام و الملوك في البلدان العربية من القهر والظلم و تكميم أفواه الأحرار بالقوة والترصد فأصبح لا مكان إلا للخاضع لقوانينهم المطاطية ولا حرية إلا للأجبن ولا صدق إلا للأكذب، ولا حياة إلا للأقوى فضاق الخناق على المبدعين والمتطلعين وطالبين للحرية والملهمين الذين أنفوا دناءة تلك الحياة، وفي ظل تلك الأنظمة الظالمة بقوله (قصيدة حكمة، الأعمال الكاملة لأحمد مطر - ص 427):

(قال أبي:

في كل قطر عربي

إن أعلن الذكي عن ذكائه.

فهو: غبي)

ولعل قصيدة أحمد مطر في سهوة ألفاظها ورقة تعبيرها استطاعت أن تخترق نفوس القارئ من المحبين بإبداعيته وفي موضع آخر يقول في قصيدة باسم (قصيدة خطاب تاريخي، الأعمال الكاملة لأحمد مطر، ص 48):

(يخطب اليوم عن النظافة

وينذر الأوساخ بالعقاب

وحوله

يصفق الذباب!)

هنا لخص بها سخطه وسلط جام غضبه عن تلك الرتابة المملة في حياة الناس وتخوفهم من نشوة المغامرة وكيفية تعبيره عنها بأسلوب راقٍ متميز وكلامٍ جدي لكن يجعله في موضعٍ مهان.

احمد مطر بأسلوبه الفريد وكلماته السليمة التي تتميز بالواقعية يبدع في هذا المجال فعمله هنا أحسبه عملاً انسانياً بحتاً يحاول أن يعيد التوازن لمجتمع اجتاحته الفوضى، فيقول (قصيدة البحث عن الذات، الأعمال الكاملة لأحمد مطر، ص405):

(أيها العصفور الجميل..أريد أن أصدح بالغناء مثلك، وأن أتنقّل بحرية مثلك.

قال العصفور:

-لكي تفعل كل هذا، ينبغي أن تكون عصفوراً مثلي...أ أنت عصفور؟

-لا أدري...ما رأيك أنت؟

-إني أراك مخلوقاً مختلفاً. حاول أن تغني وأن تتنقل على طريقة جنسك.

-وما هو جنسي؟

-إذا كنت لا تعرف ما جنسك، فأنت، بلا ريب، حمار.

-أيها الحمار الطيب..أريد أن ا نهق بحرية مثلك، وأن أتنقّل دون هوية أو جواز سفر، مثلك.

..

..

أ و و وه..ا للعنة..أنت مواطن عربي!

-وما العمل؟

-تسألني ما العمل؟! أنت إذن مواطن عربي جداً. بصراحة..لو كنت مكانك لانتحرت.

-إ بلعني، إذن، أيها البحر العظيم.

-آسف..لا أستطيع هضم مواطن مثلك.

-كيف أنتحر إذن؟

-أسهل طريقة هي أن تضع إصبعك في مجرى الكهرباء .

-ليس في بيتي كهرباء .

-ألقِ بنفسك من فوق بيتك.

-وهل أموت إذا ألقيت بنفسي من فوق الرصيف؟!

-مشرَّد إلى هذه الدرجة؟! لماذا لا تشنق نفسك؟

-ومن يعطيني ثمن الحبل؟

-لا تملك حتى حبلاً؟ أخنق نفسك بثيابك.

-ألا تراني عارياً أيها البحر العظيم؟!

-إ سمع..لم تبقَ إلاّ طريقة واحدة . إنها طريقة مجانية وسهلة، لكنها ستجعل انتحارك مُدويّاً.

-أرجوك أيها البحر العظيم..قل لي بسرعة..ما هي هذه الطريقة؟

-إ بقَ حَيّا)

أراد الشاعر أحمد مطر الميل الى خاصية فريدة من نوعه في نظم القصائد، حيث تبدو قصائده قصيرة ومتكاملة، فتشبه قصائده ذات المقاطع ديوانا صغيراً بحد ذاتها كأنها لوحة لعبة الشطرنج، وفي أحدى التحف الفنية يقصد الشاعر أن يحرق الأخضر واليابس بأسلوب رشيق ونلاحظ في أشعاره كيفية الولوج الى المقاصد وتحويل تلك المقصد من الجد الى واقع ذات طابعٍ سخريٍ هزلي.

وهذا ما فعله الشاعر أحمد مطر في شعره حيث أستقطب تجارب حياته المعادية و المناهضة للأنظمة الدكتاتورية القائمة على اساس الظلم والقهر والاستبداد وقد تولى أمر مهاجمتها بخطاباته النقدية اللاذعة المملؤة بسخرية وازدراء وفق آليات جعلها تخدم أغراضه الشعرية وموضوعاته الغريزة التي فضح بها أبعاد التفكير البالي واستراتيجيات السياسة لدى الحكام العرب الذين زرعوا الرعب في قلوب شعوبهم بالملاحقة والتربص والظلم والقهر والقتل وتبديل الأمن بالخوف دون وجه حق، وقد اتخذ الشاعر أسلوبا متميزا

في السخرية من أولئك الساسة وزبانيتهم الذين كانوا يد البطش التي يبطشون بها (ينظر: مقال بعنوان آليات الخطاب النقدي في شعر أحمد مطر بقلم: د. رضا محمد جبران)

أمثال أحمد مطر وغيرهم من الشعراء ذات أفكار متحررة هم من الذين أعطوا للكلمة الشعرية معنى وحضورا وجلاء في تتبع هشاشة الأنظمة العربية الفاسدة، ويجب أن لا ننسى أن حسب ما ورد في الاحاديث النبوية الشريفة أن كل من يقف ضد سلطان و امام جائر مجاهد يأتي بدرجةٍ متقدمة لرفع راية الإسلام فقد ورد في حديث نبوي عنْ أبي سعيدٍ الخدري – رضي الله عنه– عنِ النَّبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((أفضلُ الجهادِ كلمةُ عدلٍ عند سلطان جائرٍ)) رواه أبو داود، والترمذي. (شرح رياض الصالحين) (4532/–(454)

وعادةً ما نراه يقوم بمقام محللٍ نفسي يشفي غليل شعبه ويزودهم بطاقات إيجابية بحيث يجعل من الطبقة السياسية محل سخرية وتهكم ولكن يبدأ بأسلوب جدي لا غبار عليه ثم ينتفض عليهم بكامل قواه، فيقول (قصيدة الاصلاح الزراعي، الأعمال الكاملة لأحمد مطر، ص101):

(قرر الحاكم إصلاح الزراعة

عين الفلاح شرطي مرور

وابنة الفلاح بياعة فول

وابنه نادل مقهى

في نقابات الصناعة

وأخيراً

عين المحراث في القسم أ لفو لو كلوري

والثور مديرا للإذاعة

قفزة نوعية في الاقتصاد

أصبحت بلدتنا الأولى

بتصدير الجراد

وبإنتاج المجاعة)

فقد التبست معالم الحياة مع عالمه الشعري فرسمها للناس في أنقى صورة مع اختلاف القالب الشعري الذي وضع فيه تجاربه فكل له نكهته ولونه ورونقه الخاص، وتلك هي غاية الأدب في الحياة وإلا لا لون فيه ولا طعم له ولا صوت فيه (ينظر:آليات الخطاب النقدي في شعر أحمد مطر بقلم: د. رضا محمد جبران)

(وحينما سُئل أحمد مطر ما هي نصائحك إلى القراء، والسلطات العربية الإسلامية، والشعراء العرب، والإعلاميين في المنطقة؟ قال: (أقول للقراء لا تكونوا عبيدا وقد خلقكم الله أحرارا، وإذا لم تسهم الكلمة التي تقرؤونها في إنماء وعيكم واستثارة غضبكم لتغيير هذا الواقع السياسي الشاذ بأيديكم أو ألسنتكم –وذلك أضعف الايمان– فلا تقرؤوا. يتضح لنا من كل هذا أن أحمد مطر شاعر حقيقي في زمن امتلأ بالشعارات الجوفاء وأصحابها الدهناء، لم يكتب في الغناء أو يهتف للسلطان، بل عبّر بقلمه عن خواطر والآم وطنه العربي الكبير، فدخل قلوب الناس رغم الحواجز والقيود وغالبية قصائده تصور لنا كبت الحريات في الأوطان العربية بأسلوبٍ أراد ان يجلب انتباه جميع فئات المجتمع واعماره، وبالذات حرية التعبير، وتتمحور حول موقف المواطن من سلطة لا تتركه ليعيش، ويتميز أسلوبه بالصراحة الشديدة والانتقاد اللاذع وكذلك السخرية). (ينظر: ويكيبديا/ مقال تحت عنوان: السخرية في شعر أحمد مطر).

في موضعٍ آخر يشير مطر بكلمات رقيقة وهادئة الى السلطة وذلك اعتراضاً على الوضع المأساوي فبدأ بالجدية مع أصحاب القرار ولكن أبدع في نهاية القصيدة بتحويره الدرامي الى مهزلة وسخرية للرأي العام وأصدره في الجريدة: (قصيدة مكسب شعبي، الأعمال الكاملة لأحمد مطر، ص535):

(حملتُ شكوى الشعبِ

في قصيدتي

لحارسِ العقيدة

وصاحبِ الجلالة الأكيدة

قلتُ له:

شعبُكَ يا سيدَنا

صار ((على الحديدة))

شعبُكَ يا سيدَنا

تهرأت من تحتهِ الحديدة

شعبُكَ يا سيدَنا

قد أكلَ الحديدة!

وقبلَ أن أفرغَ

من تلاوةِ القصيدة

رأيتُهُ يغرقُ في أحزانه

ويذرفُ ا لد موع

وبعدَ يومٍ

صدرَ القرارُ في الجريدة:

أن تصرفَ الحكومةُ الرشيدة

لكلّ رَبّ أسرةٍ

. . .حد يد ةٌ جديدة!)

هنا يخوض شاعر الحرب وحيدا ضد كل قوى القاهرة وعن بدل كل المقهورين دون أن يعقد تحالفاً مع المظلومين، وهي حرب لا متناهية في القدم، لا متناهية في الاستمرار، لا هدنة فيها، ولا تسوية، ولا تنازل، ولا تصالح، ولا اعتراف، وليس فيها الا غالب ومغلوب، منتصر ومهزوم (ينظر: مقالة: بعنوان السخرية في شعر احمد مطر أ.د. صالح علي الجميلي كلية التربية / جامعة تكريت).

في موضعٍ آخر يستهل بذكر السيد الرئيس وينهيها بفقدان أحد زملائه باسم حسن: (قصيدة مفقودات من ديوان لافتات 6، الأعمال الكاملة لأحمد مطر، ص 301):

(زارَ الرّئيسُ المؤتَمَنْ

بعضَ ولاياتِ الوَطنْ

وحينَ زارَ حَيَّنا

قالَ لنا:

هاتوا شكاواكم بصِدقٍ في العَلَنْ

ولا تَخافوا أَحَداً..

فقَدْ مضى ذاكَ الزّمَنْ.

فقالَ صاحِبي (حَسَنْ):

يا سيّدي

أينَ الرّغيفُ واللّبَنْ؟

وأينَ تأمينُ السّكَنْ؟

وأينَ توفيرُ المِهَنْ؟

وأينَ مَنْ

يُوفّرُ الدّواءَ للفقيرِ دونما ثَمَنْ؟

يا سيّدي

لمْ نَرَ مِن ذلكَ شيئاً أبداً.

قالَ الرئيسُ في حَزَنْ:

أحْرَقَ ربّي جَسَدي

أَكُلُّ هذا حاصِلٌ في بَلَدي؟!

شُكراً على صِدْقِكَ في تنبيهِنا يا وَلَدي

سوفَ ترى الخيرَ غَداً.

وَبَعْدَ عامٍ زارَنا

.

.

أينَ الرّغيفُ واللّبَنْ؟

وأينَ تأمينُ السّكَنْ؟

وأينَ توفيرُ المِهَنْ؟

وأينَ مَنْ

يوفِّر الدّواءَ للفقيرِ دونمَا ثمَنْ؟

مَعْذِرَةً يا سيّدي

..وَأينَ صاحبي (حَسَنْ)؟!)

مطر شاعرٌ اقترن أسمه بالحرب على الظالمين متكئاً على ثروة لغوية طوع الاستدعاء، (ناظراً إلى كومةٍ من الخزين ينتقي منها ما يريد للموضوع الذي يريد بأسلوب أدبي ساخر مستعيناً بمفردات صارت كأنها هو وصار كأنها هي.. فمن أُوتيَ موضوع وكَلِم ووفق في اختيار الكَلِمِ المناسب للموضوع المناسب) (ينظر: مقالة: السخرية في شعر أحمد مطر بقلم أيمن شديد).

التهكم والسخرية لكونهما من الفنون الراقية التي يحتاج الي الذكاء والفكر والفطنة، لذلك فهي سلاح خطير في يد الفلاسفة والكتاب يستخدمونه ضد السياسات الظالمة المستبدة المتحكمة بمصائر الشعوب، (وكما انهم يستخدمونه في نقد العادات والتقاليد البالية في المجتمع وأمراضه الكثيرة من جهل وتخلف ونفاق). (ينظر: السخرية في شعر البردوني، عبد الرحمن محمد محمود، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الموصل / كلية التربية عام 2002م (غير منشورة)، بأشراف أ.د. عمر محمد الطالب ص6،11)

ونرى ان احمد مطر شأنه شأن كُتاب العمالقة ممن دافعوا عن مبادئ القيمة والصفات النبيلة ولا يقل عن كل من دافع عن المبادئ المشروعة سواء الوطن أو حق المواطنة، حق تقرير المصير وغيرهم من السمات العليا التي لا يمكن لأي فردٍ كان أن يتنازل عنه، ولاسيما شاعر مبدع كأحمد مطر، فهو مبدع في هذا المجال فضلاً ع استعماله أسلوب الجد والهزل كرمز وإيحاء وهذه إضافة جديدة وبصمة الشاعر في الادب العربي الحديث.

المحور الثاني: الهزل التهكمي

هزل وجد ميدان كلاهما إما النظام السياسي وإما النظام الاجتماعي فمن ايهما شعر احمد مطر؟ قبل الإجابة على هذا التساؤل لا بد من التمييز بين سخريةٍ هازلةٍ وأخرى جادةٍ وبين سخريةٍ اجتماعيةٍ وأخرى سياسيةٍ ولنأخذ مثالاً على ذلك كتاب البخلاء للجاحظ والذي يوصف بأنه أدب اجتماعي ساخر هازل.. لماذا؟ ... اجتماعي لان البخلاء شريحة اجتماعية قاعدتها الأساسية من الناس العاديين ومن كان منهم يشتغل بالسياسة قليل نادر ليس له حكم.. وهازل لان الجاحظ لا يرجو من السخريةِ عليهم أملاً في التغيير فالبخيل سيظل بخيلاً.

(أما شعر مطر يوصف بأنه أدب سياسي ساخر يقدمه بشكلٍ هزلي.. لماذا؟ سياسي لأنه يَطالُ أعلى الرؤوس ويتعرض للمتنفذين في الحكم وإليهم ينُسب الفساد والخراب إما بشكل مباشر مستعملاً رمزاً يسهل فكه والتعرف على الشخصية السياسية المقصودة أو بشكل غير مباشر من خلال قصة اجتماعية أو موقف إنساني أو أي حدث اجتماعي كحادث مرور عادي أو مقابلة تلفزيونية لشخص ما أو لحوار يدور بينه وبين والده هذا الحدث الاجتماعي لهدف سياسي بأسلوبٍ ساخر وهازل جاد لأنه يأمل من خلف سخريته أن يصنع ثورةً وتمرداً وعصياناً كما أن الشاعرِ نفسهُ (كما جاء على لسانه في قصيدة عنوانها من المهد إلى اللحد) لم يكن يبغي من سخريته استقدام المُسخرِ منهم بغيةَ استرضائه واستمالته فهو ليس للبيع أو الشراء.)(ينظر: مقالة: السخرية في شعر أحمد مطر بقلم أيمن شديد)

كتب أحمد مطر الشعر في مقتبل عمره، في عرض الغزل والرومانسية، لكن سرعان ما تكشّفت ان له موهبة تجاه الصراع بين السُلطة والشعب، فألقى بنفسه، في دائرة النار،(فدخل المعترك السياسي من خلال مشاركته في الاحتفالات العامة بإلقاء قصائده من على المنصة، مشحونة بقوة عالية من التحريض، الأمر الذي اضطر الشاعر، في النهاية، إلى توديع وطنه.) (آليات الخطاب النقدي في شعر أحمد مطر بقلم: د. رضا محمد جبران)

وسرعان ما افتتح باب الجهنم على السياسيين وأصحاب القرارات العليا في البلد: (قصيدة حالات من ديوان لافتات 1، الأعمال الكاملة لأحمد مطر – دار الحرية للنشر، ص 185)

(بالتّمادي

يُصبِحُ اللّصُّ بأوروبا

مُديراً للنوادي.

وبأمريكا

زعيماً للعصاباتِ وأوكارِ الفسادِ.

وبأوطاني التي

مِنْ شرعها قَطْعُ الأيادي

يُصبِحُ اللّصُّ

..رئيساً للبلادِ.)

لم يبق موضوع متعلق بالاجتماع والسياسة والاقتصاد إلا لجأ إليه وولج فيه احمد مطر ولا سيما جميع أبعاد الظلم من قمة الهرم الى القاعدة، فبدأ من القضاة الفاسدين فرسم صورة واقعية نلتمسه يومياً في حياتنا وجعل عنوانه أضحوكةً للجميع باسم (يحيا العدل): (قصيدة المتهم من لافتات 1، الأعمال الكاملة لأحمد مطر، ص 17)

(يحيا العدل)

حبسوه

قبل أن يتهموه...

عذبوه

قبل أن يستجوبوه...

أطفأوا سيجارةً في مقلته

عرضوا بعض التصاوير عليه:

قل... لمن هذي الوجوه؟

قال: لا أبصر...

قصوا شفتيه

طلبوا منه اعترافاً

حول من قد جندوه...

ولما عجزوا أن ينطقوه

شنقوه...

بعد شهرٍ... برّ أوه...

أدركوا أن الفتى

ليس هو المطلوب أصلاً

بل أخوه...

ومضوا نحو الأخ الثاني

ولكن... وجدوه...

ميتاً من شدة الحزن

فلم يعتقلوه.....

بعده لجأ الى مهزلة العقل ففي البلدان المتقدمة تجرى الانتخابات فيجي شيء بصندوق اليانصيب!: (قصيدة صناديق – الأعمال الكاملة لأحمد مطر، ص 75)

في بـلادِ النّاسِ

يأتـي "الشَّخْصُ" مَحمولاً إلى النّاسِ

بِصُندوقِ اقتراعٍ..

وبِبُلدانِ الصّناديقِ

يَجـيءُ "الشّـيءُ" مَحمولاً

بِكيسِ (اليانَصيبْ)

أحمد مطر قادر على أن يصنع البسمة والدمعة في آن ويعرف جيداً متى يستعمل إحداها ويستبعد الأخرى. أفاد جيداً من المفارقات اللامعقول ليضع البسمة على الشفاه فمن قصيدةِ الألثغ المتحمس للحاكم الذي أساءَ من حيث أرادَ أن يحسنَ فبدلاً من أن يقول: الحاكم ورداً قال: الحاكم وغداً لتكون النهاية المحزنة بعد البسمة (وجد الألثغ مدهوساً بالصدفة عمدا) (مقالة: السخرية في شعر أحمد مطر بقلم أيمن شديد):

(قرأَ الألثَغُ منشوراً ممتلئاً نقدا
أبدى للحاكِمِ ما أبدى:
الحاكِمُ علّمنا درساً...
أنَّ الحُريةَ لا تُهدى
بلْ ... تُستجدى!
فانعَمْ يا شَعبُ بما أجدى.
أنتَ بفضلِ الحاكِمِ حُرٌّ
أن تختارَ الشيءَ
وأنْ تختارَ الشيءَ الضِدّا...

أن تُصبِحَ عبداً للحاكِمِ
أو تُصبِحَ للحاكِمِ عَبدا!
******
جُنَّ الألثغُ...
كانَ الألثغُ مشغوفاً بالحاكِمِ جِدَا
بصَقَ الألثغُ في المنشورِ، وأرعَدَ رَعْدا:
.يا أولادَ الكلبِ كفاكُمْ حِقْدا.
حاكِمُنا وَغْدٌ وسيبقى وَغْدا.
يَعني وَزْدا!
******
وُجِدَ الألثغُ
مدهوساً بالصُّدفَةِ ...عَمْدا!)

وفي بعض المرات هازل جاد لأنه يأمل من وراء سخريته أن يصنع ثورةً وتمرداً وعصياناً (قصيدة عنوانها من المهد إلى اللحد الأعمال الكاملة لأحمد مطر، ص 278)):

(كان وحده

شاعرا صعر للشيطان خده

حين كان الكل عبده

.

.

لكن صدق الكلمة يطعن السيف بوردة

كان وحده

.

.

فأعاد القول لكن

مهده أصبح لحده

فأكتبوا في الخاتمة

رحم الله قتيل الأنظمة

وأكتبوا

لا رحم الله ولاة الأمر بعده)

ويجب ان لا ننسى ان احمد مطر شاعر من طراز متقدم ففي شعره يحمل قضية عالمية انسانية عامة بأبعادها المختلفة ونحن هنا نركز على الجانب النفسي الا انه يشمل جميع الابعاد من السياسة و الاجتماع و القضايا الاقتصادية المتعلقة بالبلد وما يعانيها الشعب بجميع فئاته في ظل السلطة الحاكمة الظالمة المستبدة التي جردت الشعب من مقوماته الإنسانية وجردته من كل ما يملك من التقاليد و الأعراف، وهو يعرض المشهد بأسلوب هزلي تهكمي أحيانا يصل الى الحزن، ومحاولا أن يسلط الضوء على الكثير من الصراعات التي يعرضها في شعره، فهو ليس شاعراً ساخراً بقصد التهكم والضحك و الهزل وإملاء الفراغ، بل كان جاداً في نقده البناء تجاه جميع مشاكل الحياة التي تواجه الفرد العربي ولاسيما الفرد العراقي، وتوفق في ذلك.

فإذا كان الشاعر قد انتهج نهجاً خطابياً مباشراً، فسمة التهكم وطريقته الفريدة كي يصل به إلى خصومه، دون غيرهم بأسهل سبل، ولهذا يسخر احمد مطر من هؤلاء جميعاً ممن يعارضون مبادئ الإنسانية من الحرية في التفكير و الحياة و اللبس وحق تقرير المصير، وضد الذين لا همّ لهم سوى الإثراء، وشراء الألقاب التي يتفاخرون بها على حساب أناسٍ بسطاء، ولم يكف احمد مطر من سخريته في خطاباته الدائمة، بما تحمله من أصناف السباب والإهانات والشتائم، في سخرية بالغة الإساءة تثور كالبركان، زكاها شعوره الغاضب ونفسه ودعاباته المريرة، فيقول في (قصيدة وصايا البغل المستنير الأعمال الكاملة لأحمد مطر، ص307):

(قال بغلٌ مستنير واعظاً بغلاً فتيا:

يا فتى اصغ إليّا..

إنما كان أبوك امرأ سوءٍ

وكذا أمك قد كانت بغيّا.

أنت بغلٌ
يا فتى.. والبغل نغلٌ

فاحذر الظن بأن الله قد سواك نبيّا.

يا فتى.. أنت غبي.

يا فتى.. احفظ وصاياي تعش بغلاً
وإلاّ..
رُبما يمسخُك الله

رئيساً عربيّا)

هنا أشار الشاعر بأن البغل يوصي فتى فموضوعه تهكمي وهزلي ولكن الكارثة في البيت الأخير .... يا فتى ..احفظ وصاياي تعش بغلاً... وإلاّ ربما يمسخُك الله رئيساً لدولةٍ عربيا!!! أي ينزله لدرجة أسفل السافلين، يرى الدكتور احسان عباس الصورة من زاويتين فقط الاولى: أن الصورة تعبير عن نفسية الشاعر، والثانية: إن دراسة الصور المجتمعة قد تعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري للقصيدة (احسان عباس،200/1996،193) فالشاعر هنا أراد ان يظهر الصور للقارئ بزاويتيها، وفي قصيدته التي أراد أن يتهكم فيها بما يسمى باتحاد الأدباء وعنوانها (قصيدة منافسة، الأعمال الكاملة لأحمد مطر، ص 201) منافسة حيث يقول:

(أُعلن الإضرابُ في دور البغاء.
البغايا قُلن:
لم يبق لنا من شرف المهنة
إلا الادعاء!
إننا مهما اتسعنا
ضاق باب الرزق

من زحمة فسق الشركاء.

أ بغايا نحن؟!

كلا.. أصبحت مهنتُنا أكلَ هواء.

وكان العهر مقصورا

على جنس النساء.

.

.

ثوريٌ بالمايوهات الخاكية

يتساقطُ فوق الأعتاب

ويُناضلُ وسط الأكواب

ويدُقُ على الأبواب

وسيفتحُها الأبواب

قفصٌ عصريٌ لوحوش الغاب

لا يُسمحُ للإنسانية أن تدخُلهُ

فلقد كتبوا فوق الباب:

جامعةُ الدول العربيّة)

الابتسام والضحك والمرح والفكاهة والمزاح والدعابة والهزل والنكتة والملحة والنادرة والملهاة (الكوميديا) ما هي إلا ظواهر نفسية من فصيلة واحدة وكلها إنما تصدر عن تلك الطبيعة البشرية المتناقضة. (وإن التهكم والتهجم على المقابل بشكلٍ هزلي بمثابة عقوبة نفسية أو عقوبة يراد بها إيقاع الأذى داخل النفس وهي

أصعب وأكثر ألما من العقوبة البدنية) (مجلة اللغة العربية/ السخرية الهادفة في شعر أحمد مطر: المنصوري) كل ما يضحك، فهو هزل، ولكنه ينقسم قسمين: أحدهما ليس له غرض أو هدف إلا الإضحاك فحسب وهو ما يطلق عليه الفكاهة، والآخر له غرض هادف واضح – سواء أكان معينا أو غير معين حين إلقاء النكتة – وهو السخرية ومن هنا أبدع احمد مطر. فأبتعد عن النكات التي يمكن أن تكون لمجرد الإضحاك فحسب حينئذ هي الفكاهة، وقد تكون بقصد اللذع والإيلام فهي السخرية، وقد تجمع بين الغرضين، فأراد احمد مطر أن يكون ادبه هادفاً أكثر مما هو من غير غرض أو لأجل الاضحاك فقط.

الخاتمة:

توصلت من خلال هذا البحث الى النتائج الآتية: –

أراد الشاعر أن يحل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على طريقته الخاصة وذلك بتشخيص المشكلة مع ذكر الحلول المتاحة وعرضها على القارئ على شكل رسالة هادفة وهي الجد والهزل لكن استطاع ان يتلاعب بإطار المعنى في قالب لغوي سهل ومبسط، لا يجيد استخدامها إلا الأذكياء المبدعون.

احمد مطر ليس وحيداً في مجال السخرية و التهكم ولكن أسلوبه الفريد جعله في القمة ولاسيما في الوطن العربي، ذلك في محاولته أن يكسب الالفاظ معاني غير معانيها الواضحة، ويقوم التلاعب اللفظي باختصار الفكرة وتخريجها عن معناها الأصلي بهدف تحويل الدرامي بقصد من قبل الشاعر وذلك بتحويل المعنى من معناها الجاد الى الهزل.

للشعراء أنواع مختلفة وكثيرة من الفنون يختمون بها شعرهم، وهناك دائماً ما تتفاضل الخواتيم في القصيدة وتكون مثيرة جداً، والقارئ المتأني لأدب وشعر أحمد مطر يلاحظ هذه الميزة وقد يصاب بالذهول والهذيان عندما يقرأ عناوين القصائد فعندما يصل الى الخاتمة فيطلع على حقائق مأساوية كارثية من حيث القول والفعل.

لم يلجأ الشاعر الى التصوير المبالغ فيه (الكاريكاتوري) –أي وضع شخص في موضع مضحك– كالمبالغة في تصوير أعضاء الجسد بغرض الإهانة لخلق الله سبحانه وتعالى أو اللجوء الى الشتم والهجو، وإنما كان أعماله ذات قيمة أدبية جميلة ولكن بشكل ساخر.

استطاع احمد مطر من تشخيص المشاكل الصغيرة وعرض الحلول لها بنظر إليها كأنها شي عظيم وذلك عن طريق الاستهانة بها ومعالجة المشاكل الكبيرة كأنه شيء صغير وذلك بتحويل فكرة الدراما من الجد الى الهزل.

واجه احمد مطر غربة قاتلة مأساوي وضياعاً وتشرداً حاول أن يقابل ذلك بالرفض والمواجهة بجرأته فكانت السخرية واستغل موهبته التي أعطت القصيدة دفقاً جديداً ولوناً متميزاً في ساحة الأدب العربي المعاصر.

Sources and references:

The Holy Quran

1- Ibn Hajjat al-Hamawi, The Book of the Treasury of Literature and the Purpose of Arb, study and investigation: Dr. Kawkab Diab, Beirut, Dar Sader.

2- Ibn Manzur (2005), Lisan al-Arab, Beirut, Dar Sader, third edition.

3- Abu Al-Hussein Muslim Al-Naysaburi (1995) Sahih Muslim, edited by: Muhammad Fouad Abdel Baqi, Beirut, Arab Heritage Revival House.

4-Ahmed Matloub (2002), on the critical term, Baghdad, Scientific Academy Publications.

5- Ihsan Abbas (1996), The Art of Poetry, Dar Al-Sadr, Dar Al-Sharq, 1st edition.

6- Edward de Bono (1989), Successful and Positive Thinking Skills, translated by: Dr. Adel Yassin - Tawfiq Ahmed, Kuwait - Al-Kashf Translation Press, first edition.

7- The Complete Works of Ahmed Matar (2001), Beirut, Dar Al-Hurriya, first edition.

8- Al-Zamakhshari Jar Allah (1998), The Basis of Rhetoric, edited by: Muhammad Basil, Beirut - Lebanon, first edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

9- Iyad Pharaoh (2000), Faces of Humor in Arabic Literature, first edition.

10- Abdel Aziz Sharaf (1992), Humorous Literature, Beirut, Lebanon Library Publishers.

11-Mohamed Al-Mansouri (1999) Irony and Sarcasm in the Poetry of Hafez Ibrahim, Alexandria, Egypt, Dar Al-Ma'rifa.

12- Muhammad bin Ahmed Abu Mansour (2001) Refinement of the Language, Beirut, Arab Heritage Revival House.

13- Yahya bin Sharaf al-Nawawi (2009), Riyad al-Salehin, edited by: Ali bin Abdul Hamid, Dar Ibn al-Jawzi.

Theses and dissertations:

1- Abd al-Rahman Muhammad Mahmoud (2002), Sarcasm in al-Baradouni's poetry, supervised by Prof. Dr. Omar Muhammad Al-Talib, a master's thesis submitted to the University of Mosul/College of Education (unpublished).

Articles:

1-D. Reda Muhammad Gibran, an article entitled The Mechanisms of Critical Discourse in the Poetry of Ahmed Matar, Dunya Al-Watan Newspaper, date of publication 8/6/2013

2- Al-Mansouri, Hafez Kuzi Abdul-Aali (September 30, 2012), Purposeful Sarcasm in the Poetry of Ahmed Matar / Journal of Arabic Language and Literature, Volume 2012, Issue 15, pp. 149-194, Publisher, University of Kufa, College of Arts.

3- Prof. Dr. Saleh Ali Al-Jumaili, an article entitled Sarcasm in the poetry of Ahmed Matar, College of Education / Tikrit University.

Websites:

1- Ayman Muhammad Makkawi Shadid, published on 12-3-2010, irony in Ahmed Matar's poetry, revised on 01-2-2023, an article he published on the website https://abujawad.wordpress.com.